الفصل السابع و العشرون

نهضات عصرية

أينما يكرز بكلمة الله بأمانة تتبع ذلك نتائج مباركة تشهد لمصدرها الالهي. لقد رافق روح الله رسالة عبيده وكانت الكلمة مصحوبة بقوة. وقد أحس الخطأة بأن ضمائرهم قد استيقظت. « والنور الذي ينير كل انسان آتيا الى العالم » أنار مخادع نفوسهم وانكشفت للنور الاشياء التي كانت مختبئة بين طيات الظلام. وقد تبكتت عقولهم وقلوبهم تبكيتا عميقا. تبكتوا على خطيئة وعلى بر وعلى الدينونة العتيدة. كان عندهم إحساس ببر الرب وشعروا بالرعب من المثول أمام فاحص القلوب وهم ملوثون بالذنوب والنجاسات. ففي ألم وعذاب صرخوا قائلين : « من ينقذني من جسد هذا الموت » ؟ فاذ أعلِن لهم صليب جلجثة بذبيحته السرمدية لاجل خطايا الناس رأوا أنه لا يوجد شيء سوى استحقاقات المسيح يكفي للتكفير عن معاصيهم، فهي وحدها التي يمكنها أن تصالح الانسان مع الله. فبايمان ووداعة قبلوا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم. وبدم يسوع حصلوا على « غفران خطاياهم الماضية ».

وصنعت هذه النفوس ثمارا تليق بالتوبة. لقد آمنوا واعتمدوا وقاموا ليسلكوا في جدة الحياة، فصاروا خليقة جديدة في المسيح يسوع، لا ليشاكلوا شهواتهم السابقة بل ليسيروا في خطواته بايمان ابن الله وليعكسوا صفاته وليطهروا أنفسهم كما هو طاهر. لقد صاروا الآن يبغضون ما كانوا قبلا يحبون ويحبون ما كانوا قبلا يبغضون. فالمتكبرون والمتغطرسون صاروا ودعاء ومتواضعي القلوب.

والمختالون والمعجبون بأنفسهم والمتشامخون صاروا جادين وغير فضوليين. والنجسون المستبيحون صاروا وقورين. والسكيرون صاروا صاحين والخلعاء طاهرين. وأزياء العالم الباطلة ألقي بها جانبا. ولم تطلب السيدات المسيحيات « الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب بل انسان القلب الخفي في العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن » (١ بطرس ٣: ٣ و ٤).

لقد كان من ثمار النهضات او الانتعاشات فحص عميق للقلوب وتذلل. وتميزت بتوسلات حارة الى الخطأة وحنان مشتاق الى دم المسيح. وصلى الرجال والنساء وجاهدوا مع الله في طلب خلاص النفوس. وقد رؤيت ثمار مثل هذه الانتعاشات في كثيرين ممن لم يتراجعوا أمام انكار الذات والتضحية بل كانوا فرحين لانهم حُسبوا مستأهلين لان يحتملوا التعيير والتجارب لاجل المسيح. وقد رأى الناس تبدلا في حياة من قد اعترفوا باسم يسوع وأفادوا المجتمع بتأثيرهم. كانوا يجمعون مع المسيح ويزرعون للروح ليحصدوا حياة أبدية.

وكان ينطبق عليهم القول : « لانكم حزنتم للتوبة »، « لان الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة. وأما حزن العالم فينشئ موتا. فانه هوذا حزنكم هذا عينه بحسب مشيئة الله كم أنشأ فيكم من الاجتهاد بل من الاحتجاج بل من الغيظ بل من الخوف بل من الشوق بل من الغيرة بل من الانتقام. في كل شيء أظهرتم أنفسكم أنكم أبرياء في هذا الامر » (٢ كورنثوس ٧: ٩ ــ ١١).

« من ثمارهم تعرفونهم »

هذه هي نتيجة عمل روح الله. ولا يوجد برهان على التوبة الحقيقية ما لم ينتج منها اصلاح. فاذا رد الخاطئ الوديعة وأرجع ما قد اغتصبه واعترف بخطاياه وأحب الله والناس يستطيع أن يتأكد من أنه وجد سلاماً مع الله. مثل هذه الآثار

تبعت أوقات النهضات الدينية في السنين السالفة. واذ حكم عليها بثمارها عرف أن الله قد باركها في خلاص الناس ورفع شأن البشرية.

ولكن كثيراً من الانتعاشات التي حدثت في العصور الحديثة تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التي ظهرت في الأيام القديمة وتبعت خلالها النعمة الالهية جهود عبيد الله. نعم، نحن لا ننكر أن اهتماما واسع النطاق قد أُثير، وكثيرون يعترفون أنهم قد تجددوا وان الاقبال عظيم على الكنائس، ومع كل ذلك فالنتائج لا تبرر الاعتقاد أن هذا الاهتمام رافقته زيادة ملائمة في مستوى الحياة الروحية الحقيقية. ان النور الذي يرتفع لهيبه الى حين سرعان ما ينطفئ تاركاً الظلمة أشد حلوكة مما كانت.

ان الانتعاشات المألوفة كثيرا ما تحدث بواسطة الالتجاء الى الخيال والأوهام واثارة الانفعالات وإشباع شوق الناس الى كل ما هو جديد ومفزع. والمتجددون بهذه الوسائل لا يرغبون كثيراً في الاصغاء الى حق الانجيل، وقلما يهتمون بشهادة الأنبياء أو الرسل. وما لم تكن الخدمة الدينية من النوع العاطفي فهي لا تجذبهم. فالرسالة التي تستنجد بالعقل الرزين لا توقظ فيهم استجابة ولا تجد لديهم قبولا. وهم لا يكترثون لإنذارات كلمة الله الصريحة التي تتناول مباشرة مصالحهم الأبدية.

أتباع أمناء للمسيح

وبالنسبة الى كل نفس مهتدية حقاً ستكون الصلة بينها وبين الله والأمور الابدية هي مدار الحياة كلها وموضوعه. ولكن في أيّ كنيسة من الكنائس المشهورة في هذه الايام نجد روح تكريس الذات لله ؟ فالمتجددون لا ينبذون كبرياءهم ولا حبهم للعالم، ولا عادوا راغبين في انكار الذات وحمل الصليب واتباع يسوع الوديع المتواضع أكثر مما كانوا قبل تجديدهم. لقد صار الدين موضوع سخرية الملحدين والمتشككين لان كثيرين جدا ممن يحملون اسم الدين

يجهلون مبادئه. فقوة التقوى تكاد تهجر كثيرا من الكنائس. والنزهات في الهواء الطلق ومسرحيات الكنائس، والاسواق التي تقام فيها، والبيوت الفخمة، والتفاخر الشخصي والمباهاة قد أبعدت عن الناس التفكير في الله. لقد انشغلت العقول بالاملاك والامتعة والاشغال العالمية، أما الامور التي لها مساس بصالح النفس الابدي فلا تكاد تظفر بنظرة عابرة.

ولكن على رغم انحطاط الايمان الشائع وضعف التقوى المتفشي يوجد في هذه الكنائس أتباع أمناء للمسيح. فقبلما يفتقد الله الارض بضرباته الاخيرة سيحدث بين شعب الرب انتعاش في التقوى والقداسة على غرار ما حدث في عصر الرسل. فسينسكب روح الله وقوته على أولاده. وفي ذلك الوقت سسينسحب كثيرون من تلك الكنائس التي فيها احتلت محبة العالم مكان محبة الله وكلمته. وكثيرون من الخدام والشعب سيقبلون بكل سرور تلك الحقائق العظيمة التي أمر الله بأن ينادى بها في هذا الوقت لاعداد شعب لمجيء الرب ثانية. ان عدو النفوس يرغب في تعطيل هذا العمل. وقبل مجيء الوقت لمثل هذه النهضة سيحاول الشيطان أن يمنعها بتقديم شيء زائف بدلا منها. وفي تلك الكنائس التي يستطيع أن يجعلها تحت سلطانه الخادع سيجعل الامر يبدو للناس وكأن بركة الله الخاصة قد فاضت، وسيظهر ما يُظن بأنه اهتمام ديني عظيم. وسيفرح جماهير من الناس لان الله يعمل عملا عجيبا لاجلهم. في حين أن ذلك العمل هو عمل روح آخر. فتحت ثوب الدين سيحاول الشيطان أن يمد تأثيره على العالم المسيحي.

وفي كثير من الانتعاشات التي حدثت في نصف القرن الاخير كانت المؤثرات نفسها تعمل عملها الى حد كبير أو صغير، وهي التي ستكون ظاهرة في الحركات الاكثر شمولا واتساعا في المستقبل. فثمة اهتياج عاطفي هو مزيج من الحقيقي والزائف يساعد على التضليل. ولكن لا حاجة الى أن ينخدع أحد. ففي نور كلمة الله ليس من الصعب على الانسان أن يحكم على طبيعة هذه الحركات. فعندما يهمل الناس شهادة الكتاب مبتعدين عن تلك الحقائق

الواضحة الفاحصة للنفس والتي تتطلب انكار الذات ونبذ العالم تُحجب عنهم بالتأكيد بركة الله. وبموجب القانون الذي وضعه المسيح نفسه والقائل : « من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧: ١٦) فمن الواضح أن هذه الحركات ليست من عمل روح الله.

لقد قدم الله الى الناس في حقائق كلمته اعلانا عن نفسه، وهي ترس لكل من يقبلونها يقيهم غوائل غوايات الشيطان. واهمال هذه الحقائق هو ما فتح الباب لكل الشرور التي تفاقمت وانتشرت في كل العالم المتديِّن. لقد غابت عن انظار الناس طبيعة شريعة الله وأهميتها الى حد كبير. وساق الفهمُ الخاطئ لطبيعة شريعة الله ودوامها وحقها الناسَ الى الاخطاء الخاصة بالهداية والتقديس، ونتج من ذلك خفض مقياس التقوى في الكنيسة. هنا نجد السر في افتقارنا الى روح الله وقوته في الانتعاشات التي تحصل في عصرنا الحاضر.

في الطوائف المتعددة رجال اشتهروا بتقواهم يعترفون بهذه الحقيقة ويأسفون لها. ان البروفيسور اداوردز بارك، وهو يعدد المخاطر الدينية الشائعة، قال : « من بين مصادر الخطر اهمال المنبر في الزام الناس حفظ شريعة الله. في العصور القديمة كان المنبر صدى لصوت الضمير ... ان أشهر وعاظنا أضفوا على عظاتهم جلالا مدهشا باتباعهم مثالَ السيد واعطائهم شريعةَ الله ووصاياها ووعيدها السمو والرفعة اللائقين بها. لقد رددوا المبدأين العظيمين المقررين، وهما أن الشريعة هي صورة لكمالات الله وان من لا يحب الناموس لا يحب الانجيل، لان الناموس كالانجيل مرآة تعكس صفات الله الحقيقية. وهذا الخطر يقود الى خطر آخر الا وهو التقليل من شر الخطيئة ومداها وانحطاطها. فعلى قدر صواب الوصية يكون خطأ عصيانها ...

« ومن بين المخاطر التي اوردناها خطر بخس عدالة الله. فالمنبر العصري يميل الى اخراج عدل الله من دائرة احسانه مع الحط من شأن هذا الاخير الى حد جعله عاطفة بدلا من رفعه الى سدة المبدأ. ان النظرية اللاهوتية الجديدة

تفرق ما قد جمعه الله. هل شريعة الله خير أم شر ؟ انها صالحة، اذاً فالعدل صالح لانه يميل الى تنفيذ القانون. فمن عادة التقليل من شأن شريعة الله وعدله، ومدى العصيان البشري وعيبه، ان الناس ينزلقون بسهولة الى بخس النعمة التي قد أعدت كفارة عن الخطيئة والتقليل من قيمتها »، وهكذا يفقد الانجيل قيمته وأهميته في عقول الناس، وسرعان ما يكونون مستعدين فعلا لطرح الكتاب المقدس نفسه جانبا.

ناموس الحرية

يؤكد كثيرون من معلمي الدين ان المسيح ابطل بموته الناموس فتحرر الناس من مطالبه. وبعض الناس يصورونه نيرا مكدرا محزنا، وعلى نقيض عبوديته يقدمون الحرية التي يمتعهم بها الانجيل.

لكنّ هذه لم تكن النظرة التي كان الانبياء والرسل ينظرون بها الى شريعة الله المقدسة. فلقد قال داود : « أتمشى في رحب لاني طلبت وصاياك » (مزمور ١١٩: ٤٥) .والرسول يعقوب الذي كتب رسالته بعد موت المسيح يشير الى الوصايا العشر على أنها « الناموس الملوكي » و « الناموس الكامل ناموس الحرية» (يعقوب ٢: ٨؛ ١: ٢٥). والرائي الذي كتب بعد الصلب بنصف قرن ينطق بالبركة والطوبى على « الذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياة ويدخلوا من الابواب الى المدينة » (رؤيا ٢٢: ١٤).

ان الادعاء القائل ان المسيح بموته قد ألغى وأبطل شريعة أبيه هو ادعاء لا أساس له من الصحة. فلو كان من الممكن تغيير الشريعة أو طرحها جانبا لما كان من حاجة الى ان يموت المسيح لينقذ الانسان من قصاص الخطيئة. ان موت المسيح لا يلغي الشريعة بل يبرهن ثباتها وعدم تغييرها. وابن الله قد أتى لكي « يعظم الشريعة ويكرمها »

(اشعياء ٤٢ : ٢١) وهو الذي قال : « لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس ». « الى أن تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس » (متى ٥ : ١٧ و ١٨). أما عن نفسه فيعلن قائلا : « أن أفعل مشيئتك يا الهي سررت وشريعتك في وسط أحشائي » (مزمور ٤٠: ٨).

شريعة اللّه لا تتغير

لا تتغير شريعة اللّه بطبيعتها. انها اعلان ارادة وصفات مبدعها. اللّه محبة، وشريعته محبة. والمبدآن العظيمان اللذان يلخصانها هما المحبة للّه والمحبة للناس. « المحبة هي تكميل الناموس » (رومية ١٣ : ١). ان صفات اللّه هي البر والحق، وكذا طبيعة شريعته. يقول صاحب المزامير : « شريعتك حق »، « كل وصاياك عدل » (مزمور ١١٩ : ١٤٢ و ١٧٢). وبولس الرسول يعلن قائلا : « الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة » (رومية ٧ : ١٢). مثل هذه الشريعة اذ هي تعبير عن فكر اللّه وارادتة ينبغي ان تكون ثابتة وباقية كمبدعها.

ان عمل التجديد والتقديس هو إصلاح ذات البين بين الناس واللّه بجعلهم في حالة وفاق مع مبادئ شريعته. في البدء خلق اللّه الانسان على صورته. كان الانسان في حالة وفاق كامل مع طبيعة اللّه وشريعته، وكانت مبادئ البر مكتوبة على قلبه. لكنّ الخطيئة فصلت بينه وبين خالقه، فما عاد بعد ذلك يعكس الصورة الالهية. ونشبت حرب في قلبه ضد مبادئ شريعة اللّه، « لان اهتمام الجسد هو عداوة للّه اذ ليس هو خاضعا لناموس اللّه لانه ايضا لا يستطيع » (رومية ٨: ٧). ولكن « هكذا احب اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد » لكي يتاح للانسان أن يتصالح مع اللّه. فبواسطة استحقاقات المسيح يمكنه ان يعود الى حالة الوفاق مع جابله. ينبغي أن يتجدد قلبه بنعمة اللّه وأن تكون له حياة جديدة من فوق. هذا التغيير هو

الولادة الثانية التي من دونها « لا يقدر أن يرى ملكوت الله »، كما يقول يسوع.

اولى خطوات المصالحة مع الله هي الاقتناع بالخطيئة. « الخطيئة هي التعدي » على شريعة الله. « بالناموس معرفة الخطيئة » (١ يوحنا ٣ : ٤؛ رومية ٣: ٢٠). فلكي يرى الخاطئ خطيئته عليه أن يقيس اخلاقه ويمتحنها بمقياس البر العظيم (الشريعة). انه مرآة يُري الانسان كمال الصفات البارة ويقدره على اكتشاف النقص في اخلاقه.

يكشف الناموس للانسان عن خطاياه لكنّه لا يقدم علاجا لذلك. ففي حين يعد الطائعين بالحياة يعلن أن الموت هو نصيب العصاة. انما انجيل المسيح وحده هو الذي يستطيع أن يحرر الانسان من دينونة الخطيئة ولوثاتها. لذا ينبغي له أن يتوب الى الله الذي قد تعدى على شريعته ويؤمن بالمسيح الذي هو ذبيحته الكفارية. وهكذا ينال « غفراناً لخطاياه السالفة » ويصير من شركاء الطبيعة الالهية. يغدو ابنا لله لاخذه روح التبني الذي به يصرخ « يا أبا الآب » (غلاطية ٤: ٦).

فهل هو حر الآن ليتعدى شريعة الله ؟ يقول بولس : « أفنبطل الناموس بالايمان ؟ حاشا بل نثبت الناموس ». « نحن الذين متنا عن الخطيئة كيف نعيش بعد فيها ». ويوحنا يعلن قائلا : « هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه ووصاياه ليست ثقيلة » (رومية ٣: ٣١؛ ٦: ٢؛ ١ يوحنا ٥: ٣). عندما يولد الانسان ثانية يصير القلب في حالة توافق مع الله ومع شريعته. فعندما يحدث هذا التبدل العظيم في قلب الخاطئ ينتقل من الموت الى الحياة ومن الخطيئة الى القداسة ومن التعدي والعصيان الى الطاعة والولاء. لقد انتهت حياته القديمة، حياة البعد والانفصال، وبدأت الحياة الجديدة، حياة المصالحة والايمان والمحبة. حينئذ « يتم حكم (بر) الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رومية ٨ : ٤). وحينئذ ستكون

لغة النفس هي هذه : « كم أحببت شريعتك. اليوم كله هو لهجي » (مزمور ١١٩: ٩٧).

«ناموس الرب كامل يرد النفس » (مزمور ٩١: ٧). من دونه لا يدرك الناس طهارة الله وقداسته ادراكا عادلا كاملا، ولا يدركون خطاياهم ونجاستهم. لا يكون عندهم اقتناع حقيقي بالخطيئة ولا يحسون بحاجتهم الى التوبة. واذ لا يرون حالة الهلاك التي هم فيها لتعديهم شريعة الله فهم لا يدركون حاجتهم الى دم المسيح المكفر. والانسان يقبل رجاء الخلاص من دون تغيير جوهري في القلب أو اصلاح للحياة. وهكذا تكثر هدايات سطحية وتنضم جماهير غفيرة ممن لم يرتبطوا بالمسيح ابدا الى الكنيسة .

تحتل النظريات الخاطئة عن التقديس، التي تنشأ من اهمال شريعة الله أو نبذها، مكانا رفيعا مرموقا في الحركات والنهضات الدينية في هذه الايام. هذه النظريات زائفة وكاذبة في العقيدة وخطرة في عواقبها العملية. وحقيقة كونها تحظى برضا الجميع تحتم على الجميع تحتيما جوهريا مضاعفا ان يدركوا ادراكا واضحا ما تعلم به الكتب المقدسة حول الموضوع.

ما هو التقديس ؟

التقديس الصحيح عقيدة كتابية. فالرسول بولس يعلن في رسالته الى تسالونيكي قائلا : « هذه هي ارادة الله قداستكم ». ويصلي قائلا : « واله السلام نفسه يقدسكم بالتمام » (١ تسالونيكي ٤ :٣ ؛ ٥ : ٢٣). ويعلمنا الكتاب تعليما واضحا ماهية التقديس وكيفية الوصول اليه. لقد صلى المخلص لاجل تلاميذه قائلا : « قدسهم في حقك. كلامك هو حق » (يوحنا ١٧ : ١٧). وبولس يعلمنا قائلا ان على المؤمن أن يكون « مقدسا بالروح القدس » (رومية ١٥: ١٦) .وما هو عمل الروح القدس ؟ لقد اخبر يسوع تلاميذه قائلا : « ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق » (يوحنا ١٦:

١٣). وصاحب المزامير : يقول : « شريعتك حق » (مزمور ١١٩ : ١٤٢) فبواسطة كلمة الله وروحه تُكشَف للناس مبادئ البر العظيمة المشتمَلة في شريعته. وبما أن شريعة الله « مقدسة وعادلة وصالحة » (رومية ٧ : ١٢) وصورة طبق الاصل عن كماله الالهي فان الاخلاق التي تتكون بالطاعة لتلك الشريعة لا بد أن تكون ايضا مقدسة. والمسيح هو المثال الكامل لتلك الاخلاق، فهو يقول : « اني أنا قد حفظت وصايا أبي » ، «في كل حين أفعل ما يرضيه » (يوحنا ١٥ : ١٠؛ ٨ : ٢٩). وعلى اتباع المسيح أن يكونوا مثله، وبنعمة الله أن تكون لهم صفات متفقة مع مبادئ شريعته المقدسة. وهذا هو التقديس حسب تعليم الكتاب المقدس.

بالايمان فقط

ويمكن انجاز هذا العمل بواسطة الايمان بالمسيح فقط وبواسطة قوة روح الله الساكن في القلب. ان بولس يوصي المؤمنين بقوله : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لان الله هو العامل فيكم ان تريدوا وان تعملوا من أجل المسرة » (فيلبي ٢ : ١٢ و ١٣). سيحس المسيحي بنوازع الخطيئة لكنه سيثير عليها حربا دائمة لا هوادة فيها. هذا هو الوقت الذي فيه يحتاج المؤمن الى معونة المسيح، فيتحد الضعف البشري بالقوة الالهية ويهتف الايمان قائلا : « شكرا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح » (١ كورنثوس ١٥: ٥٧).

يعلمنا الكتاب بكل وضوح أن عمل التقديس متدرج. فاذ يجد الخاطئ في التجديد سلاما مع الله بدم الكفارة تكون الحياة المسيحية قد بدأت. وعليه الآن أن يتقدم « الى الكمال » (عبرانيين ٦: ١) وينمو « الى قياس قامة ملء المسيح ». يقول بولس الرسول : « أفعل شيئا واحدا اذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لاجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع » (فيلبي ٣: ١٣ و ١٤). وبطرس يضع أمامنا الخطوات التي بواسطتها يمكننا الوصول الى حالة التقديس كما رسمه الكتاب فيقول :

« ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا في ايمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة وفي المعرفة تعففا وفي التعفف صبرا وفي الصبر تقوى وفي التقوى مودة أخوية وفي المودة الاخوية محبة ... لانكم اذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدا » (٢ بطرس ١: ٥ ــ ١٠).

ان الذين يختبرون التقديس الكتابي لا بد أن يظهروا روح الوداعة. فهم كموسى قد رأوا عظمة جلال القداسة ويرون عدم استحقاقهم على نقيض طهارة الاله السرمدي وكماله السامي.

كان النبي دانيال مثالا للتقديس الحقيقي. لقد قضى حياته الطويلة في الخدمة النبيلة لسيده. كان « الرجل المحبوب » لدى السماء (دانيال ١٠: ١١). ومع ذلك فبدلا من أن يدعي لنفسه الطهارة والقداسة اعتبر نفسه واحدا من بني اسرائيل الخطأة في الحقيقة عندما كان يتوسل لاجل شعبه أمام الله فيقول : « لا لاجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لاجل مراحمك العظيمة »، « أخطأنا عملنا شرا »، ثم يعلن قائلا : « وبينما أنا أتكلم وأصلي وأعترف بخطيئتي وخطيئة شعبي ». وبعد ذلك عندما ظهر له ابن الله ليعلمه ويقدم اليه ارشادا يقول دانيال : « ونضارتي تحولت فيَّ الى فساد ولم أضبط قوة » (دانيال ٩ :١٨ و١٥ و٢٠؛ ١٠: ٨).

لا تمجيد للذات

وعندما سمع أيوب صوت الرب من العاصفة صاح قائلا : « أرفض (نفسي) وأندم في التراب والرماد » (أيوب ٤٢: ٦). وعندما رأى اشعياء مجد الرب وسمع الكروبيم ينادون قائلين : « قدوس قدوس قدوس رب الجنود » صرخ قائلا : »ويل لي اني هلكت » (اشعياء ٦: ٣ و ٥). وبولس بعدما اختطف الى السماء الثالثة وسمع أشياء لا يجوز لانسان أن ينطق بها يتحدث عن نفسه على أنه « أصغر جميع القديسين » (٢ كورنثوس ١٢: ٢ ــ ٤؛

أفسس ٣: ٨). ويوحنا الحبيب الذي اتكأ على صدر يسوع ورأى مجده سقط كميت أمام رجلي الملاك (رؤيا ١: ١٧).

لا يمكن للذين يسيرون في ظل الصليب أن يمجدوا أنفسهم أو يدعوا أنهم قد تحرروا من الخطيئة. فهم يحسون بأن خطيئتهم هي التي تسببت في الآلام والعذابات التي سحقت قلب ابن الله، وهذا الفكر يقودهم الى التذلل والانسحاق. والذين هم أقرب الناس الى يسوع يدركون كل الادراك ضعف البشرية وشرها، وان رجاءهم الوحيد هو في استحقاق مخلصهم المصلوب والمقام.

ان التقديس المشهور الآن في عالم الدين يحمل معه روح تمجيد الذات والاستخفاف بشريعة الله مما يجعله يختلف عن ديانة الكتاب. والذين يدافعون عنه يعلِّمون الناس قائلين ان التقديس هو عمل لحظة بواسطته يحصلون على القداسة الكاملة بالايمان وحده. وهم يقولون : « آمن فقط فتحصل على البركة». ويظنون أنه لا يُطلب ممن ينال هذه البركة أن يبذل أي مجهود بعد ذلك. وهم في الوقت نفسه ينكرون سلطان شريعة الله ويحتجون قائلين انهم قد تحرروا من التزام حفظ الوصايا. ولكن أيمكن للناس أن يكونوا قديسين طبقا لمشيئة الله وصفاته من دون أن يكونوا في حالة وفاق مع المبادئ التي هي تعبير عن طبيعته ومشيئته والتي ترينا ما الذي يرضيه ؟

دين سهل

ان رغبة الناس في الحصول على دين سهل لا يتطلب جهدا ولا انكارا للذات ولا انفصالا عن جهالات العالم جعلت تعليم الايمان والايمان وحده عقيدة شائعة. ولكن ما الذي تقوله كلمة الله ؟ يقول يعقوب الرسول : «ما المنفعة يا أخوتي ان قال أحد ان له ايمانا ولكن ليس له أعمال هل يقدر الايمان أن يخلصه ... هل تريد أن تعلم ايها الانسان الباطل ان الايمان بدون أعمال ميت. ألم يتبرر

ابراهيم أبونا بالاعمال اذ قدم اسحق ابنه على المذبح. فترى ان الايمان عمل مع أعماله وبالاعمال أكمل الايمان ... ترون اذاً انه بالاعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده » (يعقوب ٢: ١٤ ــ ٢٤).

ان شهادة كلمة الله هي ضد هذا التعليم المعرقل تعليم الايمان من دون أعمال. فليس الايمان هو الذي يطالب برضى السماء من دون الامتثال للشروط التي على أساسها تُمنح الرحمة، بل هي الغطرسة. لان الايمان الحقيقي له أساسه في المواعيد والشروط التي يقدمها الكتاب.

لا يخدعنَّ أحد نفسه بالاعتقاد أنه يمكنه أن يكون قديسا في حين أنه يتعمد التعدي على مطلب واحد من مطالب الله. فارتكاب خطيئة معروفة يُسكت صوت الروح الشاهد ويفصل النفس عن الله. «الخطيئة هي التعدي». و « كل من يخطئ (أي يتعدى على الشريعة) لم يبصره ولا عرفه » (١يوحنا ٣: ٦). ان يوحنا مع أنه يتكلم كثيرا عن المحبة في رسائله فانه لا يتردد في الكشف عن الصفة الحقيقية لتلك الفئة من الناس الذين يدعون أنهم قد تقدسوا في حين أنهم عائشون في حال التعدي على شريعة الله. فيقول : « من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته فحقا في هذا قد تكملت محبة الله » (١ يوحنا ٢: ٤ و ٥). هنا اختبار لاعتراف كل واحد. لا يمكننا أن ننسب القداسة الى أي انسان من دون أن نأتي به الى مقياس الله الوحيد للقداسة في السماء وعلى الارض. فاذا استخف الناس بالشريعة الابدية وحقروا من شأن وصايا الله ونقضوا احدى هذه الوصايا الصغرى وعلموا الناس هكذا فلن يكون لهم أي اعتبار في نظر السماء. ونعرف نحن أن ادعاءاتهم كانت على غير أساس.

وادعاء الانسان انه بلا خطيئة هو في حد ذاته برهان على أن من يقدم هذا الادعاء بعيد كل البعد من القداسة. فلأنه لا يدرك ادراكا حقيقيا طهارة الله وقداسته غير المحدودة، ولا ما يجب أن يصير اليه الذين يريدون أن يكونوا على وفاق مع صفاته، ولانه لا يدرك ادراكا صحيحا طهارة يسوع وسمو جماله وخبث

الخطيئة وشرها، لاجل هذا يعتبر ذلك الانسان نفسه قديسا. وكلما زاد ابتعاده عن المسيح ونقص ادراكه لصفات الله ومطالبه كلما بدا بارا جدا في عيني نفسه.

ذبيحة حية

يتناول التقديس المقدم الينا في الكتاب كيان الانسان كله، في الروح والنفس والجسد. لقد صلى بولس لاجل أهل تسالونيكي قائلا : « لتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح » (١ تسالونيكي ٥ : ٢٣). ومرة اخرى يكتب للمؤمنين قائلا : « اطلب اليكم أيها الاخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله » (رومية ١٢ : ١). وفي عهد اسرائيل قديما كانت كل ذبيحة تقدم تُفحص جيدا. فاذا اكتشف أي عيب في الحيوان المقدم كان يُرفض لان الله أمر أن يكون كل قربان « بلا عيب ». فكذلك المسيحيون يُطلب منهم أن يقدموا أجسادهم « ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ». فلكي يفعلوا هذا ينبغي أن تُحفظ كل قواهم في أفضل حالة ممكنة. فكل عمل من شأنه أن يضعف قوى الجسد أو العقل يجعل الانسان غير أهل لخدمة الله خالقه. وهل يرضى الله بشيء أقل من أفضل ما في وسعنا أن نقدمه ؟ لقد قال المسيح : « تحب الرب الهك من كل قلبك ». فالذين يحبون الله من كل القلب سيكونون راغبين في أن يسدوا اليه أفضل خدمة في حياتهم، ويطلبون على الدوام أن يجعلوا كل قوى كيانهم في حالة وفاق مع القوانين التي تزيد من قدرتهم على عمل ارادته. انهم لن يجعلوا الانغماس في الشهية أو الشهوات وسيلة اضعاف أو تدنيس للقربان الذي يريدون تقديمه الى أبيهم السماوي.

يقول بطرس : « أطلب اليكم ... أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس » (١ بطرس ٢: ١١). فكل تمتُّع خاطئ يعمل على تخدير القوى وإماتة الاحاسيس الذهنية والروحية، فلا تستطيع كلمة الله أو روحه أن تؤثر في

القلب الا بقدر ضئيل جدا. وبولس كتب يقول لاهل كورنثوس : «لنطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله » (٢ كورنثوس ٧: ١). ومع ثمر الروح الذي هو « محبة، فرح، سلام، طول اناة، لطف، صلاح، ايمان، وداعة » يدرج الرسول « التعفف » (غلاطية ٥: ٢٢ و ٢٣).

ولكن على رغم كل هذه الاعلانات الموحى بها ما أكثر المعترفين بالمسيحية الذين يوهنون قواهم بالركض في أثر الربح أو عبادة الزي والاناقة، وما أكثر من يحطون من قدر انسانيتهم الجليلة المجيدة بالانغماس في النهم والشراهة وشرب الخمر أو التمتع بالمسرات المحرمة. والكنيسة بدلا من أن توبخ هذه الشرور فانها في غالب الاحيان تشجع الشر بالالتجاء الى الشاهية وطلب الربح أو حب الملذات لكي تملأ بالمال خزانتها، لأن محبتها للمسيح هي أضعف من أن تملأها. ولو قُيِّض ليسوع أن يدخل كنائس اليوم ويرى الولائم والتجارة النجسة التي تدار باسم الدين أما كان يطرد اولئك المنجسين كما قد طرد الصيارفة من الهيكل ؟

طهارة الانجيل

يعلن الرسول يعقوب ان الحكمة التي من فوق هي « اولا طاهرة ». ولو جابه الرسول اولئك الذين ينطقون باسم يسوع العزيز بشفاههم التي قد نجسها التبغ، اولئك الذين انفاسُهم واشخاصُهم ملوثة برائحته الكريهة والذين يفسدون هواء السماء ويرغمون كل من حولهم على استنشاق سمومه، ولو جرى في حضوره مثل هذا العمل المضاد كليا لطهارة الانجيل، أما كان يشهِّر به على أنه « ارضي نفساني شيطاني » ؟ ان عبيد التبغ الذين يدعون أن عندهم بركة التقديس الكامل يتحدثون عن رجائهم في السماء، لكنّ كلمة اللّه تعلن بكل صراحة أنه « لن يدخلها شيء دنس » (رؤيا ٢١: ٢٧) .

«أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله. وانكم لستم لانفسكم. لانكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله » (١ كورنثوس ٦: ١٩ و ٢٠). ان ذاك الذي جسده هيكل للروح القدس لن تستعبده عادة وبيلة. فكل قواه هي للمسيح الذي اشتراه بدمه. واملاكه هي للرب. وكيف يكون مبَّررا وهو يبذر رأس المال هذا المودَع امانة بين يديه ؟ ان المعترفين بالمسيح ينفقون كل عام مبلغا ضخما على الملاذ العديمة النفع والوبيلة بينما توجد نفوس تهلك وليس من يقدم اليها كلمة الحياة. لقد سلَبْنا الله في العشور والتقدمة بينما نحن نحرق على مذبح الشهوة المهلِكة أكثر مما نقدم لاسعاف المساكين أو لنشر رسالة الانجيل. لو كان كل المعترفين بأنهم أتباع المسيح مقدَّسين بالحق لكانت أموالهم، بدلا من أن تصرف في تمتعات باطلة لا داعي لها بل وضارة، تتحول الى خزانة الرب، ولكان المسيحيون يضربون أروع الامثلة على التعفف وانكار الذات والتضحية. وحينئذ يصبحون نورا للعالم.

لقد أسلم العالم نفسه للشهوات والملذات، « شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة » التي تتحكم في جماهير الناس وتسيطر عليهم. أما أتباع المسيح فلهم دعوة أقدس : « اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجسا ». وفي نور كلمة الله يسوغ لنا أن نعلن أن التقديس الذي لا يكون من نتائجه هذا الاقلاع التام عن كل ممارسات العالم ومسراته الخاطئة لا يمكن أن يكون تقديسا حقيقيا.

أما الذين يمتثلون لهذه الشروط وهي : « اخرجوا من وسطهم واعتزلوا... ولا تمسوا نجسا » فالرب يقدم اليهم هذا الوعد : « فأقبلكم وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء» (٢ كورنثوس ٦: ١٧ و ١٨). انه امتياز وواجب على كل مسيحي أن يكون له اختبار غني ووفير في أمور الله. قال يسوع : « أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة »

(يوحنا ٨ : ١٢). « أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير الى النهار الكامل » (أمثال ٤: ١٨). ان كل خطوة من خطوات الايمان والطاعة تُدخل النفس الى ارتباط أقرب وأوثق بنور العالم الذي « ليس فيه ظلمة البتة ». ان أشعة شمس البر المتألقة تشرق على عبيد الله، وعليهم هم أن يعكسوا أشعة نوره. فكما تخبرنا النجوم أن هنالك في السماء نورا عظيما تستنير هي وتنير بنوره، كذلك يجب على المسيحيين أن يجعلوا الامر واضحا وجليا انه يوجد اله على عرش الكون تستحق صفاته أن يمجدها الناس ويتمثَّلوا بها. ان شمائل روحه وطهارة صفاته وقداستها ستبدو جلية واضحة في حياة شهوده.

اولاد الله

يعدد بولس في رسالته الى كولوسي البركات الممنوحة لاولاد الله. فيقول : « لم نزل مصلين وطالبين لاجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي. لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضى مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله. متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة بفرح » (كولوسي ١: ٩ ــ ١١).

ومرة أخرى يكتب عن اشتياقه الى أن يدرك الاخوة في أفسس سمو امتياز المسيحي. فهو يكشف لهم في أروع لغة شاملة عن القوة والمعرفة العجيبتين اللتين يمكنهم امتلاكهما كأبناء العلي وبناته. لقد كان من حقهم ان يتأيدوا « بالقوة بروحه في الانسان الباطن » وأن يكونوا متأصلين ومتأسسين في المحبة، وأن يدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو ويعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة. لكنّ صلاة الرسول تصل الى ذروة الامتياز عندما يطلب « أن تمتلئوا الى كل ملء الله » (أفسس ٣ : ١٦ ــ ١٩) .

هنا تُعلَن أعالي الاشياء التي نستطيع أن ندركها وننالها ونبلغها بالايمان بوعود أبينا السماوي عندما نتمم مطالبه. ان لنا في استحقاقات المسيح دخولا الى عرش القدرة الازلي. فذاك « الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لاجلنا أجمعين كيف لا يهبنا ايضا معه كل شيء » (رومية ٨ : ٣٢). لقد أعطى الآب لابنه الروح من دون كيل ولنا نحن أن نأخذ من ملئه. يقول يسوع : « ان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا اولادكم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه » (لوقا ١١ : ١٣). « ان سألتم شيئا باسمي فاني أفعله ». « اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا » (يوحنا ١٤: ١٤؛ ١٦: ٢٤).

وفي حين أن حياة المسيحي تمتاز بالوداعة ينبغي الا تتّسم بطابع الحزن والحط من قدر الانسان نفسَه. انه لامتياز ان يحيا كل انسان بحيث يرضى الله عنه ويباركه. فالآب السماوي لا يريد أن نقع تحت الدينونة والظلمة. وليس من دلائل الوداعة الحقة أنْ يسير الانسان مطأطئ الرأس وقلبه ممتلئ بافكار ذاتية. يمكننا أن نذهب الى يسوع ونتطهر ونقف أمام الشريعة بلا عار أو حزن. « اذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رومية ٨ : ١).

في المسيح يمكن لابناء آدم الساقطين أن يصيروا « أبناء الله ». «لان المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم اخوة » (عبرانيين ٢: ١١). ينبغي أن تكون حياة المسيحي حياة الايمان والنصرة والفرح في الرب. « كل من وُلد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم : ايماننا » (١ يوحنا ٥ : ٤). ونعمَّا تكلم خادم الرب نحميا حين قال : « فرح الرب هو قوتكم » (نحميا ٨: ١٠). وبولس يقول : « افرحوا في الرب كل حين وأقول ايضا افرحوا »؛ « افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء لان هذه هي مشيئة الله

في المسيح يسوع من جهتكم » (فيلبي ٤ : ٤ ؛ ١ تسالونيكي ٥ : ١٦ ــ ١٨) .

هذه هي ثمار التجديد والتقديس كما هي واردة في الكتاب، ولكن نادرا ما تُشاهَد ثمارها لان مبادئ البر العظيمة المقدمة في شريعة الله تقابل من العالم المسيحي بعدم اكتراث وباهمال معيب. وهذا هو السبب الذي لاجله لا يظهر الا القليل جدا من ذلك العمل العميق الباقي، عمل روح الله الذي كان طابع الانتعاشات التي حدثت في السنين السالفة.

اننا نتغير بالنظر والمشاهدة. وبما ان تلك الوصايا المقدسة التي فيها كشف الله للناس عن كمال صفاته وقداستها قد أهملت، بينما التعاليم والنظريات البشرية اجتذبت عقول الناس، فلا غرابة أن يتبع ذلك تدهور في التقوى الحيوية في الكنيسة. لقد قال الرب : « تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لانفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماء » (إرميا ٢: ١٣).

« طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الاشرار... لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا. فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح» (مزمور ١: ١ ــ ٣). اننا عندما نعيد لشريعة الله كرامتها ونضعها في مركزها الشرعي اللائق بها ينتعش الايمان القديم والتقوى القديمة بين المعترفين بأنهم شعب الله. « هكذا قال الرب قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم » (إرميا ٦: ١٦).